حد أقصى مما تقدم ، فلا يشفع له عندهم فضل المحسن الى البشر اذ يقاوم الأمراض الفتاكة ، ويسر المسافات البعيدة ، ويرفه الخلق فى كثير ، فمع ذلك ورغم ذلك قد ينكرون على العلم قيمته وفضله لأن من يستطيع الاحسان فى شىء قد تكبر تبعته ويعظم أثمه اذا هو استخدم سلاحه للاساءة والعدوان وهو عارف لمواضع الاحسان . وأى اساءة أعظم من اساءة الحروب المعززة بجهود العلم ؟ وأى عدوان أشد من تحويل عدد عديد من الناس الى صنف من المخلوقات يسترق فى الانتاج شهوة ومن غير قصد ، ويسترق فى الاستهلاك شهوة ، ومن غير حد ؟ .

على أن هذا النحو من النظر العدائي ربما كان بعض مصدره ما تتعرض اليه النفوس والملكات أحيانا من الخلط بين الوسائل وغاياتها ، وبين العلل ومعلولاتها ، وبين الحال وبين المحل مما هو شائع ذائع .

وعلى هذا النحو خلط الكثيرون بين العلم المحض الخالص وبين نتائج العلم وتطبيقاته فى شؤون الحياة ، وكذلك قد ظلموه على نحو ما يظلم السيف المهند فى يد الجندى الجبان

وليس حظ السذج والعامة فى الخلط بين العلم وتطبيقاته بأربى من حظ بعض الخاصة وأشباههم فى هـذا الأمر . فقد يطلب الكثيرون من معاهد العلم ودوره أن تفيض عليهم وعلى أبنائهم من المتعلمين بما ينتفع به الناس انتفاعا عملياً حتى شاعت فى السنين الأخيرة عندنا وعند غيرنا من الأمم بدعة العلم العملى والتعليم العملى ونادى بها أكثر من كاتب ، وقال بها أكثر من مشتغل بشؤون التعليم . ولو أنصف هؤلاء وهؤلاء لاعترفوا للعلم بطبيعته النظرية ، وقدروا له حرصه على المعرفة لذاتها لحسب ، دون تقدير لنتائجها الضارة أو النافعة .

لكن غير المشتغلين بالعلم الخالص من أفراد الناس بخاصة هم الذين وجهوا نتائج العلم للخير وللشر وللحسن وللقبيح ، دون أن يكون للعلم فى ذاته دخل فى ذلك التوجيه . فما على العلم اذن وماله اذا ما استخدم الانسان بعض آثاره ليعيث بها فسادا أو ليصلح بها فى الوجود ؟ .

ليس فى قانون البحث العلمى ما يلزمنا أن نحكم بأن غازا من الغازات يجب أن يتوجه لحيث يحيي أو لحيث يميت ! وليس فى قانون العلم أن جوهرا من الجواهر يجب أن يكون سما ناقعا أو بلسما نافعا ! لكن طبيعة الانسان تعافيها من رفعة أو ضعة هى التى تستخدم السم لتجعل منه الدواء أو لتجعل منه الداء ، وهى التى تستخدم الشىء الواحد يكون نعمة أو نقمة . فمدار الخير أو الشر اذن انما هو منوط بالانسان

. . . على أن الناظر المدقق لو أنه تأمل مليا لوجد أن العلم تشمل عدة عناصر تهيىء النفس للتسامي والخير . ذلك لأن العلم يشىء ن الأشياء ، وتكشف الحق فى جهة من الجهات ، واطلاق النور فى كامن الديجور كل ذلك انما يشعر بعظمة العقل وجدارة الانسان ، فى الشعور بالعظمة والجدارة أول مصدر للخلق ونبالته . ولست أريد

التجديد فى الدين

للاستاذ أمين الخولى المدرس بكلية الآداب

مقال لمشروع القرش ، وحول مشروع القرش ، يحضر النفس ذكر الشباب ، والتضامن والاستقلال والحياة والقوة وتجديد مجد مصر .. ثم نحن الآن فى رمضان : صوم وزهد وتدين .. فمن تداعى هذه المعاني يأتلف العنوان « التجديد فى الدين »

عنوان قد يطلع على البعض جريئا بل ربما كان مزعجا لكثير من المتدينين الذين يتعجلون الحكم على الاشياء قبل اختبارها ويبتدرونها بتلك الأحكام الناضبة السريعة . فان يفعلوا ذلك قبل الفراغ من المقال فهذا هو الذي يفقد أحكامهم قوتها وحرمتها . ولئن يتريثوا حتى يقرؤا فسيرون أنهم كثيرا ما يثورون فى وجه من لا يستحق منهم الا التقدير .

عنوان قد يكون نابيا قلقا عند غير المتدينين . لأنهم يرون فى الشيوخ صورة المحافظة المسرفة ، بل يعتبرونهم حجر عثرة فى سبيل التجدد على اختلاف ألوانه . ويحملونهم تبعة الكثير مما أوقف الشرق وأخره . ويرونهم جند الرجعية ومعقلها . ويصدر الكثيرون عليهم أحكاما رهيبة . لكنها سرية قل من يجرؤ على مجاهرتهم بها . فأصحاب تلك الآراء والأحكام قد يعدون هذا العنوان دعابة مازحة ومفارقة فكهة . لكنهم إن يتعجلوا الحكم كذلك قبل أن يقرؤا فهذا بعض تطرفهم الذى يفقد جهادهم قوته ويعوق نجاحه . ولئن يطمئنوا حتى يقرؤا فسيرون أن كثيرا مما ثاروا فيه على الدين ليس من الدين فى شىء وأن الدين غير المنتسبين الى الدين .

العنوان حقيقة صحيحة صريحة لا فكاهة فيه ولا مروق « ان شاء الله » . ففى الدين فكرة واضحة عن التجديد تبين ناموسا كونيا وتنبه الى سنة اجتماعية مطردة لا تتبدل . اذ ورد فى الحديث « ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها » أو ما هذا معناه . وهو حديث صحيح نص على صحته متقدمون منهم البيهقى والحاكم ومتأخرون منهم ابن حجر والعراقى .. وراجت فكرة التجديد فى الاسلام . وعني العلماء ببيان مجددي كل مائة وتعيين اسمائهم ، وأعمالهم والترجمة لهم ... ولا أريد هنا وفى هذه الالمامة الصحفية ، أن أعنى باستقصاء تاريخ فكرة « التجديد فى الدين » بل أكتفى بأن أشير فى

فى هذه الكلمة الوجيزة أن أتعرض لما يحدثه العلم واصطناعه فى تقوية الاستعدادات الخلقية الكريمة ، وحسبى أن أنبه طالب العلم الى أن العلم فى جوهره نبيل وأن المنتمي اليه يجب أن يكون نبيلا . فيا طالب العلم لا تأثم فى حقه فتتوجه به الى منخفض من الحياة ، والى مافى الدنيا من ضعة ! واعمل دائما على أن تعلو بطلبك الى السماء وتحلق به حيث شرف النفس ورفعة القصد وأطلق المعانى السامية وعالم الخير

ذلك الى مجموعة تنتظم من خير التجديد والمجددين سورة كاملة من الهجرة الى اليوم ، وهى تتألف من منظومة للسيوطى فى هذا الموضوع سماها « تحفة للمهتدين فى بيان أسماء المجددين » ومطلع هذه المنظومة :

لقد أتى فى خبر مشتهر ... رواه كل حافظ معتبر
بأنه فى رأس كل مائة ... يبعث ربنا لهذى الامة
منا علينا عالما يجدد ... دين الهدى لانه مجتهد

وعلى هذه المنظومة شرح للشيخ محمد المراغى المالكى الجرجاوى الذي عاش فى القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين وسمى هذا الشرح « بغية المهتدين ، ومنحة المجدين ، على تحفة المهتدين . . . الخ » . شرح فيه منظومة السيوطي ثم أكمل أسماء المجددين نظما الى عصره وشرح نظمه على طريقة شرحه نظم السيوطى [1]

وفى بيان الدينيين لمعنى التجديد تراهم يقولون : انه نفع الامة ، ودفع المكاره عن الناس ، ونصرة الحق وأهله ، واحياء ماندرس من أحكام الشريعة ، وماهى من معالم السنن وما خلق من العلوم الدينية ويتحدثون عن تغير الحياة واستحداث أشياء تحتاج الى تناول جديد وحسبك من قولهم فى معنى التجديد ماورد فى المجموعة السابقة من عبارة النظم والشرح ممتزجتين وهى : « وانما كان مجددا لانه أى المبعوث فيما مجتهد وشأن المجتهد التجديد . . . . » ولئن اكتفوا فى الأزمنة الاخيرة بالاجتهاد المقيد فبحسبهم ان ناطوا التجديد بالاجتهاد وفسروه به وأبعدوه عن التقليد الذي هو آفة العقول وعلة الجمود . وتراهم حين يعدون أسماء المجددين فى كل طبقة قد يعدون المجددين ويخصون كل مجدد بفرع من فروع العلم أو العمل . فيوسعون الدائرة توسعة محمودة

تلك فكرتهم فى تجديد الدين : وانها لفكرة فى التجديد متزنة رزينة مقدورة لنظام الحياة وتدرجها معادية للجمود وقاضية عليه قاتلة لاهله . . . . واذا كان الدين وهو وحى السماء والاسلام وهو رسالة لا رسالة بعدها هو الذى يقرر لاهله أن نظام الحياة العاملة يحوجه الى التجدد ويعيبه الله له على الزمن من ينفى عنه مظاهر الجمود ، وعوامل الوقوف ؛ اذا كان هذا حال الدين ، وذاك شأن الاسلام ، فرافق الحياة ، وظواهر المعيشة التى لاثبات لها ولا استقرار ، والتى هي وليدة الظروف وصنعها ، أشد حاجة الى التجدد والتغير . . . . . واذا كانت البعثة الدينية التجديدية نعمة على المتدينين ، وفضلا من الله ونعمة ، فالمنتسبون الى الدين حين يقابلون المبعوثين لهذا التجديد ، ويجمدون على ما وجدوا عليه آباءهم ، انما ينكرون نعمة الله ، ويصدون عن سبيله ويبغونها عوجا — وما هم بالغيه — وهم ، وبين أيديهم ذلك الاثر ، وعليهم ذلك الواجب لا يأمنون بجمودهم اثما واحدا ، بل آثاما كثيرة : انهم لانهم لا يتجددون وانهم لانهم لا يجددون وانهم لانهم يعوقون المتجددين المجددين فى تعثت أصم لا يميز الخبيث من الطيب مهما تبينا ولا يعرف داعى الله من داعى الشيطان

(١) ان هذه المجموعة مخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٨٧ تاريخ

وما ننسى أن الكلمة لمشروع القرش وحول مشروع القرش فلنعد الى مصر المتجددة بجهاد شبانها مصر ذات الحيوية الفياضة وصاحبة الشخصية الخالدة والتى أسدت الى الانسانية والحضارة أطهر الأيادى وأشرفها على تطاول السنين وتعادى الايام . نعود لنقول ان مصر كعادتها فى ذلك قد اضطلعت من تجديد الدين بالحظ الاوفر وساهمت فيه بالنصيب الاكبر على سعة الامبراطورية الاسلامية وترامى أرجائها وانتظامها الواسع الأفيح أقطار الدنيا القديمة . فأنت حين تعرض أسماء أولئك المبعوثين المجددين على رؤوس المئات خلال الثلاثة عشر قرنا من تاريخ الهجرة تراهم يعدون هكذا :

فى المائة الاولى ... عمر بن عبدالعزيز
« « الثانية ... الشافعى
« « الثالثة ... ابن سريج العراقي أو ابو الحسن الاشعرى
« « الرابعة ... الباقلانى أو الاسفراييني
« « الخامسة ... الغزالي
« « السادسة ... الفخر الرازى
« « السابعة ... ابن دقيق العيد الشافعى
« « الثامنة ... البلقينى أو غيره
« « التاسعة ... السيوطي
« « العاشرة ... الرملى أو غيره
« « الحادية عشرة ... عبد الله بن سالم البصرى
« « الثانية عشرة ... الدردير
« « الثالثة عشرة ... أحمد الشرقاوى
« « الرابعة عشرة . . . . . ؟

وتجيل نظرك فى هذه الجريدة من الاسماء فترى — كما لاحظ القدماء أنفسهم — ان الكثرة المطلقة من هؤلاء المجددين مصرية رجال أنجبتهم وآوتهم وعلمتهم مصر ذات الفضل التليد على المدنية منذ عرفها بنو آدم ، فبين هؤلاء الثلاثة عشر مجددا ثمانية من المصريين هم : عمر بن عبدالعزيز وليس مصر الناشىء بها والشافعي الذى حمته وفيها علم وابن دقيق العيد القشيرى المنفلوطى ، والبلقيني المنسوب الى بلقينة قرب المحلة والسيوطى والرملى المنسوب الى رملة قرب منية العطار بجاه مسجد الخضر والدردير العدوى والشرقاوى الجرجاوى ... وان شئت عددت لمصر منهم تسعة قصر فى القرن الرابع عشر الهجرى هي قلب الشرق الخافق وعقله المفكر وقد تصدرت فى شجاعة ونبل لحمل أعباء تلك القيادة منذ بدأ ذلك الشرق يمسح عن عيونه آثار النوم ويتهيأ ليقظة نشطة باهرة تمدها عزمة قاهرة تكتب له النجاة وترد له حقه فى الحياة ... ولا أريد اليوم أن أسمى مجدد هذه المائة أو مجددها من المصريين حتى لا أحابى أحداً ، ولا ألقن رأيا وانما أترك الكلمة فى ذلك لشبان الشرق وشبان مصر .

« البقية على صفحة ١٨ »